محمد عليه الصلاة والسلام

آخر رسل الله

obeikandl.com

obeikandl.com

محمد عليه الصلاة والسلام
آخر رسل الله

وتمضى قافلة الزمان.

وتتغير الدنيا.

ويزداد سلطان الإمبراطورية الرومانية التى تسوم العالم سوء عذاب.. وتزداد هيمنة الإمبراطورية الفارسية على من يدين لها بالولاء.

ورغم الصراع والحروب الدائرة بين كلتا الإمبراطوريتين إلا أن نفوذهما على من يعيش تحت سطوتهما كان واضحًا ملموسًا.

وكانت شبه الجزيرة العربية تعيش تحت ظلام الجهل والجاهلية.

وشعوب أوربا شراذم من شعوب بالغة التخلف والهوان.

وهذا يعنى أنه قد آن الأوان لظهور آخر رسالات السماء.. الرسالة الخالدة التى جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين.. محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.. والذى سرعان ما توجه إلى الناس يدعوهم إلى الدين الجديد «أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكًا فى الجنة».

لقد جاء عليه الصلاة والسلام بالشريعة الخاتمة:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشوري: ١٣].

وقال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

جاءت رسالة النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام لتهدى البشرية إلى الطريق المستقيم.. وتبنى المجتمع الإسلامى على أساس من القوة والتمدن والاستنارة، وإقامة حضارة يانعة مزدهرة بفضل مقومات الدين الحنيف فى سمو اعتقاده بالوحدانية، وبالعدالة الاجتماعية التى يفرضها على أتباعه، وبالشريعة الغراء التى لا تجعل المؤمن يحيد عن طريق الرشاد.

كان عليه الصلاة والسلام قبل أن تأتيه الرسالة الخاتمة كثير التأمل فى الوجود والموجودات من حوله، وكان يتفرغ لهذا التأمل فى غار حراء.. إلى أن جاءه وحى السماء.. وكان أول ما نزل عليه ﴿ اقْرَأْ ﴾.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ

﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ - ٥].

فبداية الدعوة: العلم.

كان على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقوض نظام المجتمع الجاهلى القديم.. يقوض ما تعارف عليه الناس من عبادات للأصنام، وعادات بالية سخيفة، وأن ينقذهم من هوة الضلال والطغيان والتحجر، وأن يقيم مجتمعًا جديدًا عماده الإيمان، والطريق إليه العلم، والعلم يقود إلى العبادة الصحيحة والسلوك الصحيح.. ولم يكن من السهل على دعوة تقوض كل ما تعارف عليه الناس أن تنتشر بسهولة ويسر، بل كان لابد من المقاومة من طغاة المشركين، وعباد العادات والتقاليد.. والخائفين على نفوذهم..وعبيد أهوائهم.. ومن هنا فقد جن جنون مكة عندما دعاهم أعظم رسل الله إلى ما فيه حياتهم.. فناصبوه العداء.. وتعرضوا بالإيذاء له ولأصحابه، حتى بلغ بهم الجنون مداه حين حاصروه عليه الصلاة والسلام وقومه وأتباعه فى شعب من شعاب مكة لا يبيعون لهم ولا يبتاعون منهم، وحرروا بذلك وثيقة ظالمة، بل إن بعض المسلمين قد هاجروا إلى الحبشة هربًا من إيذاء مكة وصلفها، إيذاء لا لشىء إلا أن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام دعاهم إلى النور فأبوا إلا الظلام.. وحثهم على الرشاد فاختاروا الضلال.. وأرشدهم إلى العلم فتمادوا فى الجهل:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾

[الأحزاب: ٤٠].

وكانت دعوته عليه الصلاة والسلام واضحة المعالم والقسمات.. فقد قال لهم أفضل خلق الله:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

وكان لابد لدعوة منزلة من السماء أن تنتصر مهما تكن قوة الطغيان وبطش المتكبرين.. فقد صمد الرسول وأصحابه وهو يدعو إلى الله فى مكة ثلاثة عشر عامًا، إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة، حيث أصبح الأنصار والمهاجرون قوة قادرة على كبح جماح الشرك والكفر، وبناء حياة جديدة على أسس من الإيمان، وأذن الله تعالى لهم بالجهاد:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وكانت المعارك الضارية مع أعداء الله ابتداء من غزوة بدر حيث انتصر المسلمون انتصارًا ساحقًا على مشركى مكة رغم كثرة عددهم وعتادهم، وقلة عدد المسلمين وعتادهم، إلى مختلف الغزوات والسرايا... مثل معارك أحد، والأحزاب، إلى أن تمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من دخول مكة نفسها، وارتفعت رايات الإسلام

ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، حيث انتصر الرسول على يهود المدينة.. وجاءت الوفود من كل أنحاء الجزيرة العربية يعلنون إسلامهم، وعم النور البقاع المقدسة.. هذا الدين الذى انتشر بعد ذلك بسرعة الضوء ما بين الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا بفضل تعاليمه وما فيه من قيم تضىء للإنسانية معالم دينهم ودنياهم.

والنبوة ـ على حد تعبير الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ـ فى نظر الإسلام تعتمد أولاً على هداية العقل والقلب، والخوارق أمر ثانوى وسيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، بعثه الله إلى جميع الإنس والجن، وقد نسخ الله بدينه كل ملة، وألزم أهل الأرض اتباع شريعته التى بعثه بها، ولا يقبل من أحد سواها، فلا نبى بعده! ولا رسول عقبه، لأن شريعته هيمنت على كل الشرائع، وسدت مسدها، وقدمت للعقل البشرى ما يطمئنه فى الداخل والخارج، ففى داخله أوجبت عليه عقيدة لا تفرق بين الله ورسله، ولا بين أحد من رسله، فإذا كانت الجنة لمن آمن بموسى، أو بعيسى، أو بغيرهما؛ فنحن نؤمن بكل الأنبياء كإيماننا بمحمد ﷺ الذى أنزل عليه ربه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥٢].

وقدمت شريعة الإسلام للعقل البشرى ما يطمئنه فى العالم الذى يعيش فيه، فشرعت نظامًا أساسه الحرية والمساواة، وهدفه تهذيب الفرد والمجتمع، ثم إقرار العدل، وأخيرًا رعاية المصلحة، فهو نظام وفوق النظام سلطان يرعاه ويطبقه، وفوق السلطان برهان من العقل والشرع، فلا جور ولا استبداد وفى الحديث:

«القضاة ثلاثة: اثنان فى النار وواحد فى الجنة، وهو من علم الحق وقضى به، واللذان فى النار هما اللذان جهلا الحق أو من علما الحق وأعرضا عنه».

وعندما نتأمل شمائل أعظم رسل الله.. القدوة العظمى فى أخلاقياته وسلوكياته.. نرى فيه المعلم والإنسان، ونشعر من خلال شخصيته الآسرة بالوفاء، وحب الخير، والتواضع والزهد، كما نرى العابد الذى تتورم قدماه من كثرة الوقوف بين يدى خالقه وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ولنقف بعض الوقفات مع هذ الشخصية العظيمة فى بعض مواقفها، لأن مواقفه عليه الصلاة والسلام تحتاج إلى مجلدات.

إن النبى الذى شاءت إرادة الله أن يكون أميا لا يقرأ ولا يكتب جاء ليعلم الناس، ويحببهم فى العلم، والأخذ بأسباب التقدم، قال لأصحابه فيما قال يحببهم فى العلم وأهله:

* «لا يزال الإنسان بخير ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل!»

* «مداد العلماء يزن عند الله دماء الشهداء».

* «من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطى».

ويقول لنا أعظم رسل الله ببلاغته المعهودة:

«مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

وكان منها أجادب أمسكت الماء. فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا.

وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به» (رواه الإمام البخارى).

ودارس سيرة النبى الخاتم سوف يرى ما اتصف به الرسول الكريم من صفات رفيعة، فقد كانت مجموعة هذه الصفات الحميدة التى اتسم بها ، لم تظهر عندما أصبح نبيًا رسولاً، بل كانت سمة من سماته قبل الرسالة وبعدها، أى أن الله سبحانه وتعالى أنشأه وبه كل المميزات التى تجعله قادرًا على تبليغ الرسالة الخالدة للناس جميعًا، وتحمل كل المشاق والصعاب التى تواجه كل الأنبياء والمرسلين، والدعاة والمصلحين.. كان شديد الذكاء.. بليغًا.. صبورًا..

شجاعًا.. عفًا.. نزيهًا.. متواضعًا.. زاهدًا.. عفيفًا.. حتى إن الجاحظ وصف بلاغته فقال: (الكلام الذى قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط فى موضع البسط، والمقصور فى موضع القصر، وهجر الغريب الوحشى، ورغب عن الهجين السوقى، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام حُفّ بالعصمة، وشُدّ بالتأييد، ويسر التوفيق، وهذا الكلام الذى ألقى الله تعالى المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الالهام، وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أتم نفعًا، ولا أصدق لفظًا،ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح فى معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم).

وقد وصفه هند بن أبى هالة فقال:

(كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليس له

راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثًا ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئًا لم يكن يُذمه، ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض أحد للحق بشىء حتى ينتصر له، إذا أشار فبكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام).

إن هذه الشخصية المبهرة التى هيأها الله جل علاه لمهام أعظم رسالة فى الوجود وصفها صحابى جليل وهو أبو هريرة بقوله:

(كان يقبل جميعًا، ويدبر جميعًا، بأبى وأمى، لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا فى الأسواق).

ويصف لنا الشيخ محمد أبو زهرة هيبة الرسول فيرى أن هيبته فى القلوب كانت أشد ما تكون هيبة الرجل الذى اختاره الله تعالى رسولاً للعالمين، وما كان تواضعه إلا لما يعلمه من فرط هيبته، فيلطفها بذلك التواضع، بل إنهما نبعا من هيبته واحدة، فهما متآخيتان، بل إنه لا يتواضع من غير أن يتضع، إلا من يكون قويًا فى نفسه، لا يحس بأنه ينزل إلى المهانة فيما يفعل، وفيما يدع.

ولقد وصف الواصفون مجلس النبى عليه الصلاة والسلام بين

صحابته بما يدل على عظيم مهابته، وقوة وقاره وسمته، فقد كان مجلسه عليه الصلاة والسلام يحفه الوقار، ولا يتكلمون إلا إذا أذن فى القول، ولا يبعدون عن إرادته، ولكن فى تواضع واطمئنان.

وكان أحيانًا يحرص على أن ينزل ثم ينزل ليقرب منه الذين يحدثهم ويريد هدايتهم، وأحيانًا كان النساء يسترسلن فى القول فى مجلسه من غير أن يكون منه جفاف القول، وهو قادر على إسكاتهن بنظراته، ولكنه لا يرفضهن، ولا يمنعهن. وقد كان يرشد بعض النسوة، فكن يتسابقن فى سؤاله، فتصايحن عليه، فدخل عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه، وهن يتصايحن فى تسابق إلى السؤال، فسكتن، فابتسم رسول الله ﷺ حتى بدت سنه، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله.. ما الذى أضحكك؟

فقال الرسول الكريم الرءوف الرحيم:

«هؤلاء النسوة كن يتصايحن علىَّ فلما رأينك سكتن».

فقال عمر:

ـ أى عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله؟

فقالت إحداهن: ولكنك أفظ وأغلظ!

فأسكتها الرسول وقال قول القوى المهيب نافيًا الغلظة عن صاحبه:

«لا، إن الشيطان لا يسير فى فج يسير فيه عمر» ولم يكن عمر

أشد هيبة من النبى بل النبى المهيب المحبوب، ولكنه يتكامن ليصل إلى القلوب، وهو لا يترك هيبته ترهب، ولكنها هيبته ما كانت إلا لترشد، فالإرشاد غايته فى حاليه مهيبًا ومتواضعًا.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة أيضًا:

(وإن أخبار هيبته فى مبدأ البعث لها صور ووقائع، ولكن ما كان عليه الصلاة والسلام يسلط هذه الهيبة التى تفرض صاحبها إلا نادرًا، لتكون استجابة الدعوة عن الاقتناع المجرد الذى لا يدخله رهبة ولا ترغيب إلا ما يكون من رضا الله تعالى يوم القيامة.. ولكن إن كانت المواجهة بينه وبين زعماء الشرك وجهًا لوجه، ورأى فيهم استهزاء مقيتًا، وانفرد بهم، بيَّن بأس الله تعالى عليهم وقوته، وما وهبه الله تعالى من هيبة ربانية).

والإنسان ليقف أمام هذه الشخصية الآسرة متأملاً فى تلك العظمة التى لا يمكن أن نرى مثيلاً لها.. إنه وهو النبى الخاتم..والذى يقف أتباعه أمامه وكأن على رءوسهم الطير عندما يتحدث إليهم كانت إنسانيته تفوق كل مناسيب الإنسانية.

عندما يموت ابنه إبراهيم يتساقط الدمع غزيرًا من عينه ويقول:

«الموت حق، وإن القلب ليحزن، والعين لتدمع، وإنا لفراقك يا إبراهيم محزونون».

وعندما صادف يوم موت ابنه كسوف الشمس، تصور بعض

الصحابة أن الشمس كسفت حزنًا على إبراهيم، فإذا النبى المعصوم يقول لهم:

«إن الشمس والقمر من آيات الله لا تكسفان لموت أحد ولا لحياته».

وما أعظمه عليه الصلاة والسلام فى رحمته ورفقه وعفوه عندما يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء:

«اللهم إنى بشر من البشر، أغضب كما يغضب البشر، فأيما رجل دعوت عليه، فاجعل ذلك له زكاة ورحمة، وصلاة وطهورًا، وقربة تقربه إليك يوم القيامة».

والحديث عن عظمة محمد بن عبد الله لا ينتهى.. فهو قد اصطفاه الله ليكون آخر رسل الله على الأرض، وهيأه للرسالة الخالدة التى سوف ترسى دعائم تعاليم السماء، وتكون أعظم حضارة لها بسماتها الخاصة.. وتجمع بين المادية والروحية، وبين الروح والمادة.. فالإسلام عقيدة وعبادات وشرائع وقيم ومبادئ ومثل عليا.. حمله إليهم هذا الرسول العظيم الذى قال فيه ربه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

والذى درس سيرة النبى عليه الصلاة والسلام دراسة متعمقة وعرف كيف كان يدعو إلى الله وإلى دينه، يجد نفسه مبهورًا

بشخصية محمد ﷺ فى إيمانه العميق وقدرته الهائلة على الإقناع، وصبره صبرًا يفوق صبر البشر وهو يحاول أن يقنع الناس بالإسلام بالحسنى وبلا إكراه.

ولنضرب مثلاً:

عندما حقق الإسلام انتصاراته الباهرة على أعدائه.. ودخل الناس فى دين الله أفواجًا.. ولم تعد هناك قوة فى شبه الجزيرة العربية كلها قادرة على التصدى للإسلام.. كما أن القوى الخارجية المتمثلة فى الإمبراطوريات العظيمة، فى ذلك العهد متمثلة فى الفرس والرومان، كانوا يرصدون ما يحدث عقب انتصارات الإسلام المذهلة، وبدءوا يشعرون بالخطر المحدق بهم من الدين الجديد، وبدءوا محاولاتهم اليائسة لمحاربة هذا الدين الجديد.. ولكنهم كان يتهيبون هذه المجابهة كما حدث فى (تبوك).. وأصبح من الواضح أن هذا الدين الجديد لن يقف أمام انتصاره حائل.. وهذا ما أثبته التاريخ بالفعل عندما قهر خلفاء الرسول كلتا الإمبراطوريتين.

تيقن الناس جميعًا بأن هذا الدين غالب، ولن يقف أمام انتشاره أحد، لأن الإسلام وهو ينتشر بسرعة البرق كان ينتشر لأنه دين يجذب القلوب والعقول إليه بسهولة ويسر، فهو دين الفطرة.. لا يتنافى مع المنطق أو العقل.. وليس فيه كهنوت ولا غموض.. ولا حتى رجال دين.. فرجال الدين فيه هم العلماء بما جاء به هذا الدين، ولكن ليس لهم وصاية على أحد.

ذات يوم.. وبينما كان أعظم رسل الله جالسًا فى مسجده بالمدينة قال لأصحابه:

«سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق، لم يكرهوا على الإسلام، وقد أنفوا الركائب وأنفوا الزاد».

وعندما ارتسمت الدهشة على وجوه الناس، قال لهم:

«اللهم اغفر لعبد القيس».

وعندما حضر وفد البحرين،وفيهم (الجارود بن عمرو) وكان نصرانيًا، ودخلوا على الرسول مسجده.. قال (الجارود) للرسول:

- يا محمد، إنى قد كنت على دين، وإنى تارك دينى لدينك، أفتضمن لى دينى؟

أجابه النبى الخاتم:

«أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه».

وهدى الله (الجارود) إلى الإسلام وقال للرسول الكريم:

- والذى بعثك بالحق، لقد وجدت صفتك فى الإنجيل، وقد بشر بك ابن البتول، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وأسلم بإسلام (الجارود) من كان معه من قومه.

وسأله الرسول:

«يا جارود: هل فى جماعة (عبد القيس) من يعرف لنا قُسًا».

(يقصد قس بن ساعدة الإيادى).

قيل:

ـ كلنا يعرفه يا رسول الله!

قال الجارود:

وأنا من بين القوم كنت أقفوا أثره، كان من أوساط العرب فصيحًا.

قال الرسول الكريم:

«على رسلك يا جارود، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه».

هنا قال أبو بكر الصديق، وكان قد حضر قس بن ساعدة الإيادى عندما كان فى سوق عكاظ، حيث خطب خطبته الشهيرة:

(أيها الناس، اسمعوا وعوا، وإن دعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ إن فى السماء لخبرًا، وإن فى الأرض لعبرًا).

ذكر الصديق لهم خطبة قس بن ساعدة الإيادى.

وعندئذٍ جاء (عبد الله بن عوف الأشج) وكان قد تأخر قليلاً عن الركب، وكان دميم الوجه، وعندما دخل على الرسول شعر كأن

الناس ينظرون إلى دمامته فقال:

- يا رسول الله، أنه لا يستسقى فى جلود الرجال، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

وهنا تظهر عظمة خاتم الأنبياء والمرسلين، لقد أعجبه فصاحة عبد الله فقال له:

«إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة».

وأوضح لهم الرسول ما جاء به الإسلام.. فأعلنوا إسلامهم.

ومع كل الوفود التى جاءت مبايعة للرسول توجد مثل هذه الحوارات التى تدل على سعة صدر النبى الكريم ورحمته وحبه للناس وخفض جناحه لهم.

وتمضى الأيام.

ويخطب الرسول عليه الصلاة والسلام فى جموع الناس فى عرفات خطبة الوداع.. التى ألقى فيها الرسول العظيم وصاياه الخالدة، والتى نزل أثناءها قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وشعر الناس بعد هذه الخطبة بأن الرسول العظيم يودع الدنيا، فماذا بعد إكمال الدين إلا الرحيل إلى أكرم جوار.

لقد كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن مرة فى السنة، ولكنه فى آخر رمضان صامه الرسول عليه الصلاة والسلام دارسه القرآن مرتين، وأيقن الرسول العظيم بالرحيل فقال لابنته فاطمة: «إن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى».

وبعد ستة شهور انتقل الرسول العظيم إلى الرفيق الأعلى.. وعندما دخل عليه الصديق أبو بكر والفاروق عمر وبعض أصحابه من الأنصار والمهاجرين، قالوا:

(السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته).

(اللهم إنا نشهد أن نبيك قد بلغ ما أنزل عليه، ونصح لأمته، وجاهد فى سبيل الله، حتى أعز الله به دينه، وتمت كلماته، فآمن الناس بك وحدك لا شريك لك، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه، واجمع بيننا وبينه، فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا).

* * *

وندعو نفس الدعوة: اللهم اجمع بيننا وبينه، فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا.. صلى الله عليه وسلم.